

حوار مع بعض أئمة المساجد في الجزائر حول التلبير في أيام التشريق عقب الصلوات الخمس، كُتبتنا هذا المقال على عَجالةٍ دفاعاً عن العلامة الألباني رحمه الله، ونحن أدرى بجال الجزائر وما بدور فيها

إنَّ الحمدَ للهَ نحمدهُ، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران:

102]. ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها

زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله

كان عليكم رقيباً﴾ [النساء 1]. ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً

يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً

عظيماً﴾ [الأحزاب: 70-71]. أما بعد :فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي

هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشرُّ الأمور مُحدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة

ضلالة، وكل ضلالة في النار. فرغم الجهود الضخمة التي بذلها أئمة السنة والفقهاء قديماً

وحديثاً في تحرير بعض المسائل، وتبيين مدلولاتها، وإظهارها للأمة؛ إلا أنه ما زالت بعض

الفصول بحاجة إلى تجلية وطرح، وأخرى إلى فصلٍ وفتح، وكل هذا على فهم السلف

الصالح حتى لا يطوح المرء في بطاح منهج الظاهرية البدعية وهو يحسب نفسه أنه من

أهل الحديث الخالص، سامداً بفقهاء مطروح، لا يقبل فيه حواراً ولا نقاشاً، ولا يرى أن

قول غيره من أهل العلم يصحُّ أو يكون أبداً، أو مقلداً لاجتهاد إمام يدل البحث

والتحقيق أنه جانب الصواب في ما ذهب إليه، فهو في حكم الله مأجور على بذل الجهد

في معرفة الحق، وإنما النقص في حق من يقلده لتمييز على الناس وينفرد عنهم وليقال فيه:

أنه أتى بما لم يخطر على قلوب الأوليين كما هو ديدن كثير من طلاب العلم في هذا العصر. ومشياً مع الأيام الفاضلة من شهر ذي الحجة ارتأيت أن أطرح بعض المسائل التي وقع حولها شيءٌ من الجدل، وكثر عنها السؤال، وخاصة عندنا في الجزائر الغراء، صانها الله وسائر ديار الإسلام من الفتن والإحن، حيث أنه انتشر بين بعض الناس أن التكبير المقيد عقب الصلوات الخمس في أيام التشريق بدعة، بل وصل الحال ببعض الطلاب أنهم ينكرون على من يُكَبِّرُ عقب الصلوات الخمس، والصنف الثاني يقوم مغاضباً إذا شرع المصلون في التكبير، وإذا سئلوا من قبل السواد الأعظم عن هذا الصنيع؛ كان جوابهم: هذا مذهب الشيخ الألباني! رحمه الله وجعل الجنة مثواه. فنلمس بعد ذلك ازدياداً من العوام للعلامة الألباني لما يرونه من تصرفات بعض الشباب، بل حتى وصل الحال أن سعت بعض الجهات في منع دخول كتب الشيخ الألباني رحمه الله أثناء المعرض السنوي خوفاً منهم على الشباب من تأثرهم بفتاوى الشيخ على زعمهم وتصورهم الخاطيء، كل هذا بسبب عجلة بعض أئمة المساجد الذين دأبهم الوحيد نشر ما انفرد به الشيخ الألباني عن غيره من العلماء على الملأ، وعلى المنابر، (كمسألة تحريم الذهب المخلق للنساء، وصوم يوم السبت في غير الفرض، ورجوع الحاج محرماً إذا لم يطف طواف الإفاضة قبل الغروب،.....)- وعند المحققين من علماء أهل السنة أن بعض ما تفرد به الشيخ الألباني بجانب فيه للصواب-، ضارين صفحا عن أصوله المتينة التي تربطه بمنهج السلف الصالح، وتجمعه بإخوانه العلماء، القدماء منهم والمعاصرين؛ وإني أقول: أن هذا الصنف من الطلاب، وأئمة المساجد لم يخدم العلامة الألباني رحمه الله، ولم يبرز مناقبه العظيمة، ولم ينشر علمه الصافي، وجهوده في تقرير معتقد السلف، ومحاربة الأفكار المنحرفة والمناهج الضالة كمنهج الخوارج، والإخوان، والتبليغ، والأحزاب الإسلامية المنحرفة، ومن سبح في حوضهم الآجن، بل سعى بغير قصد إلى تشويه سمعته، وإظهاره في صورة العالم المتفرد عن العلماء، المخالف للإجماع، والبعيد عن الفقه وأصول الاستنباط، حتى صرنا نسمع من بعض الكتاب أنه مذهب خامس!. بجرير من يا ترى

والله المستعان؟ والأمر الثاني الذي كثر السؤال عنه ما يفعله بعض الخطباء عندنا في الجزائر، وذلك أنهم في صلاة الجمعة في خطبة الأولى يأتون بالحمد والثناء على الله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد جلسة الاستراحة يقومون ويدخلون في الموضوع مباشرة دون حمد على الله ولا صلاة وسلام على رسوله، وإذا سئلوا لما؟ قالوا: هذا مذهب الألباني!. فهل ما يفعلونه صحيح؟، وصحيح أنه قول الشيخ الألباني رحمه الله؟. وأحيانا يخطب طالب علم بالناس ويصلي بهم آخر، وإذا سئلوا لما؟ قالوا: هذا مذهب الشيخ الألباني!. فهل هذا الصنيع درج عليه الرعيل الأول أم لا؟ الجواب: \*أولا: قاعدة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة جزء رفع الملام: (وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يعتمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سنته؛ دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون يقينياً على وجوب اتباع رسول الله، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن إذا وُجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له من عذر في تركه). والعلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله من هؤلاء العلماء المقبولين، ولا نشك أبداً أنه رحمه الله نذر أنفاسه لخدمة المنهج السلفي، والدفاع عنه، وربط الناس بالسنة الحمديّة، وها هي كتبه وأشرطته شاهدة على ما أقول. وأمّا ما يبلغنا من فحیح قوم أنه وقع في الإرجاء أو وافق المرجعة كما ينعم به بعض من استزلهم الشيطان، وبال في أسماعهم وعمى أبصارهم، فلا يلتفت إليه، ولا يقام له وزنا، ثم والله ما كنا نتصور أن يصدر من بعض من كنا نحسن به الظن ونجالسه ونسأله عن أمور ديننا أنه يقول في علامة الشام أنه وقع في مذهب المرجئة والعياذ بالله، ولكن هذا نصيب الألباني من الخير يأتيه وهو في قبره، والله العاصم من الزلل. قال ابن أبي العز رحمه الله في رسالة الإتياع ص43: (ومن ظن أنه يعرف الأحكام من الكتاب والسنة بدون معرفة ما قاله هؤلاء الأئمة وأمثالهم فهو غلط مخطئ) \*ثانياً: نحتاج إلى تصديرة موجزة في ذم الشذوذ، والفتوى بالمهجور فأقول: إن مدرسة الطُّبُولِيَّات التي يترأسها بعض الطلبة المتصدرين

والمتسرعين في الأحكام، ومن سار على شكيكته وسكيكته من الظاهرية الجدد، ولدت في عقول كثير من الشباب المبتدئين في الطلب الاستخفاف بما كان عليه الأسلاف من العلم والفهم، بل وأشعرتهم أن العلم لا يكون إلا برواية الغرائب، والشاذ من الأقوال، وهذا حتماً خطأ وانحراف مُباين لما كان عليه الأوائل من الأسلاف رحمهم الله. قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله: «لا يكون إماماً في العلم من أخذ بالشاذ من العلم، ولا يكون إماماً في العلم من روى عن كل أحد، ولا يكون إماماً في العلم من روى كل ما سمع» (1). [إسناده صحيح: أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (2/820 رقم 1539، انظر «التمهيد» له (1/64) و «شرح علل الترمذي» (1/411)]. (وقال الإمام مالك رحمه الله: «شرّ العلم الغريب، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس» (2)). [2] «الجامع لأخلاق الراوي (2/100)» رقم (1292)]. وقال أبو طالب المكي: «كان مالك رحمه الله أبعد الناس عن مذاهب المتكلمين، وأشدّهم نقضاً للعراقيين، وألزمهم لسنة السالفين من الصحابة والتابعين» (3). [3] «ترتيب المدارك» (2/39)، انظر «السير» للإمام الذهبي (8/106)]. بل كان يرى الإمام مالك رحمه الله أن سبب ظهور الأهواء والأقوال الباطلة والشاذة الجهل وقلّة العلم بآثار السلف الصالح. قال إسماعيل بن أبي أويس: سمعت مالكا يقول «ما قلت الآثار في قوم إلا ظهر فيهم الأهواء ولا قلت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء» (4). [4] رواه الخطيب في «الفيح والفتنة» (1/383 برقم 390) بإسناد صحيح]. وروى عبد الله بن وهب عنه «إن حقاً على كل من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعاً لأثر من مضى من قبله» (5) [5] إسناده صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية (6/324) من طريق يونس بن عبد الأعلى، ثنا ابن وهب، والخطيب في الجامع (209) من طريق حرمة قال: نا ابن وهب. [ وهذا المنهج صار الإمام مالك إماماً، يضرب الناس أكباد الإبل ويقطعون الفيافي للأخذ عنه والاستفادة منه. قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: «معلوم أن مالكا كان من أشد الناس تركاً لشذوذ

العلم، وأشدّهم انتقاداً للرجال، وأقلّهم تكلفاً، وأتقنهم حفظاً، فلذلك صار إماماً» (6). [«التمهيد» (65/1)]. قال الإمام أبو داود السجستاني صاحب السنن مفتخراً بكتابه السنن لأنه رحمه الله ضمّنه المعروف والمشهور من الأحاديث وجنّبه رحمه الله الغريب: «والأحاديث التي وضعتها في «كتاب السنن» أكثرها مشاهير، وهي عند كل من كتب شيئاً من الحديث، إلا أن تمييزها لا يقدر عليه كل الناس، والفخر بها أهما مشاهير، فإنه لا يُحتج بحديث غريب ولو كان من رواية مالك ويحيى بن سعيد والثقات من أئمة العلم (7)». ( ) «رسالة أبي داود، انظر «عون المعبود» (7/1)». قال يزيد بن أبي حبيب: «إذا سمعتَ الحديثَ فانشده كما تنشد الضالة فإن عُرف وإلا فُدعه» (8). [رسالة أبي داود، انظر «عون المعبود» (7/1)]. (وعلى هذه الطريقة الحميدة كان الأسلافُ رحمهم الله، فإنّهم كانوا لا يبتهجون بالغريب من الفتاوى، والشاذ من الأقوال، بل كان يعدُّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الاشتغال بالغرائب والشواذ طريقة أهل البدع من الأعاجم، قال رحمه الله وهو يتحدث عن مباينة مبتدعة الأعاجم لأهل السنة: «بخلاف ما يفعله كثيرٌ من أهل البدع من الأعاجم وغيرهم، حيث يشتغل أحدهم بشيء من فضول العلم من الكلام أو الجدل، والخلاف أو الفروع النادرة، والتقليد الذي لا يحتاج إليه، أو غرائب الحديث التي لا تثبت ولا ينتفع بها» (9). [«الفتاوى الكبرى» (235/5) انظر كتاب «النبذ في آداب طلب العلم» للأخ الفاضل حمد بن إبراهيم العثمان، ومنه استفدت كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وأنصح كل طالب علم بقراءة هذا الكتاب فإنّه مفيد جداً. وقد منّ الله عليّ بتدريس بعض الفصول من هذا الكتاب، وأجزاء أخرى في أدب الطلب لطلابي الأعزاء في مدينتي أبو ظبي منطقة المشرف، وبني ياس شرق 11]. قال ابن القيم رحمه الله: «وأحسنّ همم طلاب العلم قصر همته على تتبع شواذ المسائل، وما لم يترل، ولا هو واقع، أو كانت همته معرفة الاختلاف وتتبع أقوال الناس، وليس همه إلى معرفة الصحيح من تلك الأقوال، وقل أن ينتفع واحد من هؤلاء بعلمه» (10). [«الفوائد» (ص 93) انظر

المصدر السابق (ص222)]. وقد استفدنا من علمائنا الأماجد رحم الله الأموات، وحفظ أحياءهم: أن الاستهانة بما كان عليه السلف داءً وبيل يطمس الطرق المؤدية إلى العلم والفهم، ومن ظهر منه هذا المرض استحق المقت والعتاب، ورحم الله العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي القائل في منظومته «وسيلة الحصول» [(11)] انظر «الجهد المبذول» للشيخ زيد المدخلي (3/295): .]

وحيث قلنا في اتفاق السلف === يلزم حجة لكل مقتف فـخلفهم يحصر في المنهج === والحق عن جملتهم لا يخرج فيحرم اختراع قول ما سبق === لهم ومن يحدثه للمقت استحق بل يلزم الرد إلى الأدلة === في ذا وإلا اختيار قول الجلة والخلفا قدم على سواهم === فالاهتداء والرشد من حلاهم وقدام الشيخين إذا كان الأجل === عصرهما وخلفه كان الأقل وبعدهم أئمة ممن مضى === ممن بنور هديهم قد استضا فاعرف لهم منصبهم لا تستهن === وبفهوم القوم في الفقه استعن وهكذا فاسلك سبيل الاقتدا === مقتفي الآثار لا مقلداً

وعليه فإنني أهيب بكل طالب علم تأمم الكتابة في أصول الدين وفروعه على تقسيم المتأخرين، أو عقد مجالس للتعليم، أو ارتقى المنابر أن يربط المسلمين بمنهج السلف الصالح، وأن يرشدهم إلى كتبه المتينة والأمينة، وإياه من كلمة «قد أتيت» أو «استنبطت شيئاً لم يسبقني إليه أحد»، وليحذر أن يربطهم بقول إمامٍ في مسألة ليس له فيها سلف، ولو كان في مثل مرتبة مالك، أو يحيى بن سعيد كما قال أبو داود، نهيك أن يربطهم بطالب علم مغرور، أو داعية جاهل بأصول التوحيد، وحق الله على العبيد، له حمل بعير من الانحرافات، يجري وراء الفتات، يلتقط ما تخلفه الجمعيات الخيرية الحزبية من القوات، فداعية هذا حاله ينتقل من دولة إلى دولة من أجل درهم أو دينار، لا يقود الشباب إلا إلى أرض موات، أو مفازة بلا نبات والله المستعان. واعلموا يا شباب الإسلام حفظكم الله من كل سوء أنه من تنكب منهج السلف في الاستدلال والأحكام،

وولى له ظهره، وصار يتناول بالغريب والشاذ من الأقوال، فهذا والعياذ بالله قد استهان بعقول الأئمة المتقدمين العظام، الذين خدموا العلم بإخلاص وورع جيلاً بعد جيل. وزد على ذلك يكون قد رُوِّض بهذا الأسلوب الحادث الطلاب على الاستهانة بالعلم نفسه، وهذا هو البلاء الماحق لكل فضيلة في طالب العلم، المخرج من حقل التواضع في طلب العلم والتعليم إلى فيافي التيه والغرور، والاستطالة بعلم ليس منه في قبيل ولا دبير، ولا نفير ولا قطمير، ومن تشبع بما لم يعط فقد لبس ثوبي زور. والله أسأل أن يتولانا والصالحين من عباده .

\*ثالثاً: الجواب باختصار مراعاة لوضع القراءة على الشبكة: إن التكبير شرع في المواضع الكبار والمواقف الجليلة، ولكثرة الجمع، أو لقوة الحال، أو لعظمة الفعل، فإنه صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال: (الله أكبر، خربت خيبر) وكان صلى الله عليه وسلم يكبر على الأشراف مثل التكبير إذا ركب الدابة، وإذا علا نشزاً من الأرض، وإذا صعد على الصفا والمروة؛ فقد جاء عن جابر قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا علونا كبرنا، وإذا هبطنا سبحنا)، وجاء التكبير في الأذان في أوله وفي آخره، والأذان هو الذكر الرفيع، كل هذا ليبيّن الله لخلق أنه سبحانه وتعالى أكبر، ويستولي كبريائه في القلوب على كبرياء كل أمر كبير، فيكون الدين كله لله تعالى، ويكون العباد له مكبرون، فيحصل للعباد المنقادين لأوامره مقصودان؛ المقصود الأول العبادة بتكبير قلوبهم لله، والمقصود الثاني الاستعانة بانقياد سائر المطالب لكبريائه، ومنه شرع التكبير على الهداية والرزق والنصر، لأنها أكبر ما يطلبه العبد، وهي جماع مصالحه. قلت: وجماع هذا أن التكبير مشروع عند كل أمر كبير من مكان وزمان وحال ورجال. وهكذا عيد الأضحى قد اجتمع فيه التعظيم والنعمة، فاستحق الجمع بين التكبير والحمد، فالله أكبر على ما هدانا، والحمد على ما أولانا. \*رابعاً: إن التكبير في عيد الأضحى وأيام التشريق ينقسم إلى قسمين ومطلق

ومقيد. أما المطلق فيكون في البيوت والأسواق، والطرقات، وراكبا وماشيا، لقوله تعالى ((أذكروا الله في أيام معلومات))، ولقوله تعالى ((ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم)). ولقوله صلى الله عليه وسلم (أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل) رواه مسلم. وصح عن عبد الله بن عمر (أنه إذا غدا يوم الفطر، ويوم الأضحى يجهر بالتكبير حتى يأتي المصلى، ثم يكبر حتى يأتي الإمام) رواه البيهقي والفريابي وابن أبي شيبة، وانظر الإرواء للعلامة الألباني (122/3 برقم 650). قال الإمام البخاري رحمه الله: (وكان ابن عمر يكبر في قبته بمعنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيرا. وكان ابن عمر يكبر بمعنى تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلى فراشه، وفي فسطاطه، ومجلسه، وممشاه، تلك الأيام جميعا) انظر مختصر صحيح البخاري للعلامة الألباني (1-297-298 ط مكتبة المعارف). قال الإمام الزهري: كان الناس يكبرون في العيد، حين يخرجون من منازلهم حتى يأتوا المصلى، وحتى يخرج الإمام، فإذا خرج الإمام سكتوا، فإذا كبر كبروا) رواه ابن أبي شيبة وإسناده صحيح. وفي الباب آثار كثيرة عن السلف نكتفي بهذا القدر، وبالله التوفيق، قال العلامة ابن قدامة رحمه الله في كتابه العظيم المغني (3/286 ط التركي): (لا خلاف بين العلماء رحمهم الله في أن التكبير مشروع في عيد النحر..). قال العلامة ابن تيمية الحراني رحمه الله في مجموع الفتاوى (24/221): (أما التكبير فإنه مشروع في عيد الأضحى بالاتفاق). \*أما المقيد: وهو الذي يكون عقب الصلوات الخمس في الجماعات وهو قول جمهور أهل العلم، وبعضهم وسع الأمر وجعله وراء كل صلاة فرضا كانت أو نفلا، في جماعة، أو منفردا، والصواب أن التكبير مقصور على الخمس في الجماعات للأثار الآتية الذكر، ومن وسع الأمر فلا يضيق عليه كما قال العلامة محمد ابن صالح العثيمين رحمه الله. يتبع إن شاء الله

وكتبه أبو عبد الباري عبد الحميد أحمد  
العربي الجزائري كان الله